الجزء الأول

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

حروب الرحمة

مقال من مجلة ديرشبيجل الألمانية

فى ١٧/٢/٢٠٠٣م

(قبل غزو العراق)

بقلم

هانز هوينج

وجيرهارد شبورل

ترجمة: رانية خلاف

obeikandl.com

حروب الرحمة

بمهاجمة بغداد يسعى الرئيس الأمريكى چورچ بوش إلى تلبية أمر إلهى. فى الولايات المتحدة شديدة التدين، لم يكن هناك أبدًا مثل هذا الربط العميق بين المصالح القومية والأصولية. **يطالب المتعصبون المسيحيون بحرب صليبية ضد الإسلام.**

واشنطن مدينة تخشى الله. أحد الطقوس الرئيسية فى البيت الأبيض هو أن يبدأ الاجتماع بالصلاة. يطلب الرئيس من أحد وزراء مجلسه أن يقول بعض الكلمات التأملية، بينما يخفض كل من بالغرفة رءوسهم، ويطبقون عيونهم، يطوقون أيديهم معًا، ويقوم دونالد رامسفيلد المحارب القديم بالتوسل إلى الله.

تجتمع أيضًا مجموعة لدراسة الكتاب المقدس بشكل منتظم لمناقشة وترجمة فقرات مختارة من العهدين القديم والجديد. وعلى الرغم من أن موظفى البيت الأبيض لا يطلب منهم المشاركة، فإن هناك بالتأكيد من يقوم بتدوين الملاحظات حول من يحضر ومن يتغيب عن هذه الاجتماعات.

يشغل الملتزمون دينيًا، وذوو الأخلاق الطيبة، مكاتب المركز الرئيسى الرسمى للرئيس. القسم بالله ممنوع، وليس هناك من يدخن أو يتناول المشروبات الكحولية. فى تقرير لديفيد فروم، كاتب الخطابات السابق للرئيس، ذكر بحماس أن «الإيڤانجليكية الحديثة» تتخلل هذا المبنى الجميل فى بنسيلڤانيا آڤينيو.

يقول چورچ بوش إنه يقرأ الكتاب المقدس يوميًا، ولقد سمعه البعض يشير إلى القوة التى تأتى من الداخل، على نحو رائع، بزيادة وتكرار القراءة. «أصلى»، يقول بوش: «أصلى من أجل القوة، من أجل وضوح الاتجاه، من أجل الغفران. وأسأل الرب الكريم والطيب واسع القدرة أن يقبل إقرارى بفضله».

كلما أوشكت الحرب على العراق، كلما تحدث الرئيس عن الإيمان وقيمه الخاصة.

إنه يؤمن أن أفعاله تتأثر بشكل كبير بإيمانه. **ومن المعروف فى الولايات المتحدة أنه فى زمن الأزمات القومية، يصبح الرئيس بمثابة الواعظ، من يمنح الشعور بالارتياح والقوة.**

وعلى ذلك تستخدم النبرة الدينية بشكل تدريجى لتبرير السياسة. ويبدو بوش مقتنعًا بأن الله وحده هو من سمح له بشغل منصبه فى هذه اللحظة الشديدة الأهمية. فى صلواته، كما يقول بوش، يصلى بشكل خاص من أجل القوة لإنجاز مهمته: «**إن الله يدعونا لأن نحمى بلادنا، وأن نقود العالم للسلام**».

إن البيت الأبيض ليس هو فقط قلب وعقل القوة العظمى الأعظم نفوذًا، ولكنه أيضًا يكون فى بعض الأحيان منبع التقوى. حاول العديد من الرؤساء قبل بوش أن يخلقوا انسجامًا ما بين إيمانهم الشخصى وادعاء الولايات المتحدة ممارسة امتيازها الإمبريالى. أخذ چيمى كارتر مسيحيته بشكل شديد الجدية لدرجة أنه كان يعطى أفضلية مؤقتة للانتشار المعتدل لحقوق الإنسان على سياسة المصالح الأكثر قسوة. وبشكل مناقض، استطاع رونالد ريجان - وهو أقل تدينًا من كارتر - أن يُلبس جهوده لنزع سلاح الاتحاد السوفييتى مسحة دينية من الكتاب المقدس، بإطلاق «إمبراطورية الشر» على الاتحاد السوفييتى.

و يبدو چورچ بوش جادًا بشأن قضيتين: إيمانه بعيسى المسيح، و إبراز القوة الإمبريالية.

كلما حاول رئيس أمريكى الربط بين ديانته المسيحية والرغبة فى نظام جديد وإحداث تناغم بين دوائر المصالح، كان التشكك هو رد فعل الأوروپيين. إن المرجعية الأمريكية على نحو تجسيدى لـ «القدر المبين - Manifest Destiny» - قدر الولايات المتحدة أن تجلب السلام للعالم من خلال الحرب - هى أمر ليس ملائمًا لفهم الأوروپيين الدنيوى للقوة والسياسة. **ولكن من يفشل فى أن يأخذ جديًا دور الدين فى «بلد الله» (وهى رؤية الولايات المتحدة لنفسها)، البلد الذى تحمل عملته شعار «فى الله نضع ثقتنا»، فإنه يفشل فى فهم أمريكا.**

ومنذ البداية، كانت الولايات المتحدة تأمل أن تكون «المدينة على التل»، المذكورة فى الكتاب المقدس، وهكذا كان يأمل العديد من رؤساء الولايات المتحدة. أرادت أمريكا أن تقدم نفسها للإنسانية جميعًا بوصفها اليوتوبيا الحقيقية، والبشير بأورشاليم السماوية فى نفس الوقت.

إن هذا الادعاء الذى لا حدود له يسيطر أيضًا على السياسة الخارجية. لقد وجدت إدارة بوش تبريرات متعاقبة للحرب على العراق. فى البداية، كانت القضية الحاسمة هى أن هناك علاقة مباشرة بين صدام حسين وأسامة بن لادن، وهو ادعاء ليس له أى دليل، ثم أصبح تغيير النظام هو البديل فى نهاية الأمر، كحجة لتدمير أسلحة العراق للدمار الشامل[1]، وهو وسيلة لتأمين احتياطيات البترول فى الشرق الأوسط ضد ديكتاتور معاد لأمريكا. أو وسيلة لنشر الديموقراطية فى الإقليم بأكمله[2]. ثم جادل الرئيس بأن للعراقيين الحق فى التحرر من الطاغية، قبل أن يعود بشكل نهائى للجدال الأولى غير المبرهن بادعاء وجود علاقة بين «صدام حسين» و«بن لادن».

منذ البداية، أظهر البيت الأبيض القليل من الصبر فى التسامح مع المعارضة والاعتراف بوجهات النظر المعارضة. والآن، أصبحت النتائج المتعاقبة مدمرة نوعًا ما. إن العلاقة بين أمريكا وأوروبا تبدو رديئة على نحو غير مسبوق، كما أن الأوروبيين قد أقحموا أنفسهم فى ترف الانشقاق إلى معسكرين معتمدين فى ذلك على المواقف المتخذة من قبل الدول منفردة تجاه الحرب فى العراق.

إن الصدع الحادث فى حلف الأطلنطى قد أصبح أكثر عمقًا؛ بسبب أن أمريكا ذاتها قد تغيرت. ولكن كيف يبدو الأمر؟ ما الذى يميز المسيحية المؤسسية التى يمنحها بوش الفضل فى منصبه الرئاسى، ولأى الأولويات ينقاد بوش من قبل تلك الأغلبية الأخلاقية؟ ماهى القوى التى تقف وراء چورچ بوش؟ هل هو ببساطة دمية تحركها الأموال الكبرى، كما يشعر العديد من الأوروبيين؟ أم أنه رئيس يعمل بحكم حقه الشخصى كرئيس؟

الميلاد الثانى المزدوج

فى بداية أكتوبر عام ٢٠٠١م، دعا الرئيس بوش خمسة قادة متدينين ـ ثلاثة من المسيحيين، ويهوديًا، ومسلمًا ـ إلى البيت الأبيض. فى هذا اللقاء، أمدهم بالمعلومات

(١) الأمر الثانى الذى ليس عليه أى دليل، وقد اتضح كذب كل من زعم به، إن لم تكن خيانته للأمانة والصدق والمسئولية ـ المترجمة.

(٢) وكما يعلم الجميع، فإن أقوى علاقات للإدارة الأمريكية فى المنطقة، هى مع أكثر الأنظمة استبدادًا وديكتاتورية ـ المترجمة.

عن حالة الحرب ضد الإرهاب، وقال إنه يلوح فى الأفق عدد قليل من المعارك الحاسمة، ثم، وبشكل غير متوقع، طلب منهم الصلاة له. وبطريقته للبوح بأفكاره ومشاعره الذاتية قال: «أنتم تعرفون، بالطبع، أن لدىّ مشكلة إزاء المشروبات الكحولية. لو كانت الأمور قد بقيت على حالها لكنت جالسًا اليوم فى أحد بارات تكساس بدلاً من المكتب البيضاوى. **إن هناك سببًا واحدًا فقط لوجودى فى المكتب البيضاوى وليس فى البار: لقد عرفت طريق الإيمان. لقد وجدت الله**».

من النادر للغاية أن يتحدث بوش عن أيامه حينما كان سكيرًا، وهو لا يعترف تقريبًا أبدًا أنه كاد يومًا أن يتسبب فى انهيار حياته. وبرغم، أو ربما بسبب، حقيقة أنه قد تربى وسط الثروة والامتيازات، فإن سيرة حياته حتى بلوغه الأربعين عامًا تبدو مثل دراسة لفاشل على نحو كامل.

لقد سمى باسم والده، الذى كان ناجحًا فى كل أفعاله خلال الحرب العالمية الثانية، والتى تطوع فيها فى سن الثامنة عشرة، كما كان ناجحًا فى ممارسة الرياضة بالجامعة، وفى عالم الأعمال، حيث كسب الملايين من بترول تكساس، وفى السياسة، حيث نجح أن يكون سفيرًا للولايات المتحدة إلى الصين، ثم مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية، ثم نائب رئيس، ثم فى النهاية رئيسًا لأمريكا.

اختار چورچ، ابنه الأكبر، الطريق ذاته، ولكنه كان غير سعيد وغير ناجح فى مساعيه لعدد طويل من السنوات. كان طالبًا متوسط القدرات فى جامعة «يال ـ Yale». وحينما عاد إلى جامعته على الساحل الشرقى التى تضم النخبة، مباشرة بعد تخرجه، ألقى خطابًا عميق التفكير على نحو ملحوظ: «لم يكن لدىّ أية فكرة عما ينبغى أن أفعله فى الحياة حينما تركت هذا المكان. عرفت القليل من الناس ممن لديهم خطة لمستقبلهم، ولكن أصبح من الواضح أن كل أشكال النجاح والفشل تقبع بانتظارنا. إن الحياة تسير وفقًا لتحولاتها الذاتية، تقدم لنا تحديات فريدة، وتكتب تاريخها الخاص. وخلال طريقنا فى الحياة، نبدأ ببطء فى فهم أننا لسنا من نكتب أقدارنا فى هذه الحياة».

على عكس أبيه، لم يصبح أبدًا كابتن فريق البيسبول فى جامعة يال، ولم يكن بطل حرب تقلد الأوسمة. التحق بوش الابن بالحرس القومى لتكساس، حيث تجنب أن يتم إرساله إلى ڤيتنام، ولقد كانت أول محاولة له لاقتحام عالم السياسة بمثابة كارثة.

حينما بلغ بوش عامه السابع والعشرين، كان يقود سيارته وهو فى حالة سكر إلى منزل والديه فى واشنطن. فقد السيطرة على قيادة السيارة، اصطدم بعربات القمامة، انحرف بشكل واسع، لتتدحرج السيارة فى النهاية أسفل الشارع. لقد عنفه الأب، مما أدى فقط إلى إثارة غضبه. هدد بوش الصغير الفاشل على نحو يائس أن يوجه ضربة لبوش الأب الناجح.

أرسل بوش الأب ابنه إلى تكساس على وجه السرعة فى برنامج اجتماعى، حيث كان المطلوب منه مساعدة الأطفال ذوى الحاجات الخاصة ـ وهو درس فى الشقاء، درس من الحياة الحقيقية. «لم يكن لدينا أية فكرة أنه يعانى إدمان المشروبات الكحولية» قالت والدته باربارا بوش، بعد تلك الواقعة، «التى لم تعن أنه كان نادرًا ما يشرب كميات كبيرة من الكحوليات». «جيب» الابن الأصغر لبوش، والأكثر طموحًا، وهو الآن محافظ فلوريدا، كان يعتبر الوريث الحقيقى لأبيه.

فقد چورچ بوش الابن الملايين فى تجارة البترول، حتى اضطر أصدقاء والده إلى إنقاذه من مشاكله المالية، ولم يكن ذلك مرة واحدة، فقد تكرر مرارًا. وبعد سلسلة من الأفعال المخزية والتى دعمت فيه فقط شعوره بالدونية، بدأ فى إدمان المشروبات الكحولية: البيرة، البوربون أون ذاروكس، والنبيذ. استمر ذلك حتى السابع والعشرين من يوليو ١٩٨٦م، حينما احتفل بعيد ميلاده الأربعين مع الأصدقاء والكثير من الخمور.

فى اليوم التالى، كان يشعر بدوار شديد من أثر الخمور، فأقسم أن يمتنع عن تلك المشروبات منذ ذلك اليوم فصاعدًا. تقول زوجته لورا: إنه كان مترددًا فى تنفيذ هذا القرار لمدة عام، ولكنه كان يرتد إلى معاقرة الخمر. فى أحد الأيام، فى نهاية أسبوع طويل من حفلات الشرب الصاخبة، استيقظ ثم نظر فى المرآة إلى القىء الذى يغطى وجهه. **جثا على ركبتيه داعيًا الرب أن يساعده. إن أمريكا لتحب مثل هذه القصص، قصة عودة الابن الضال.**

تضمنت عملية إعادة تأهيله علاجًا روحيًا على يد بيلى جراهام، النجم الأكبر لحركة الميلاد الثانى المسيحية، الرجل الذى تزدحم من أجله قاعات الاستماع فى الكثير من الدول. هذا الواعظ ذو الشخصية الكارزمية كان يزور بوش فى بيته الريفى فى كينيبانكپورت للصلاة مع أسرة بوش وأصدقائه، وللحديث عن الله والعالم. فى

البداية لم يكن بوش الابن متحمسًا بشكل خاص، ولكنه بعد ذلك أصبح مهتمًا بشكل متزايد، **حتى قال فيما بعد: «إن جراهام زرع بذور الخردل فى قلبى، وبدأت أتغير»**.

ربما كان قرار الإقلاع عن المشروبات الكحولية بشكل ما أول قراراته المستقلة والمهمة. على الرغم من ذلك، فلم يكن قادرًا بشكل واضح أن يمنح لنفسه الفضل الكافى لإنجاز هذا التغير المفاجئ فى سلوكه بنفسه، وبدلاً من ذلك كان يشعر أن هناك قوة عليا جديرة بالشكر. منذ هذا الوقت، **أصبح واحدًا من ٦٠ مليون أمريكى يرون أنفسهم بوصفهم «مسيحيين مولودين من جديد»، ويعترفون بالفضل لربهم؛ لأنه أصلح من شأنهم. قال بوش - بشكل عرضى -: إنه يعتبر المسيح واحدًا من أكثر الفلاسفة السياسيين أهمية فى كل العصور؛ «لأنه ساعدنى فى الإقلاع عن الخمر»**.

منذ ذلك الوقت، كان الابن أكثر نجاحًا فى اتباع خطوات والده. فى البداية رشح لمنصب حاكم تكساس لفترتين من الحكم، ثم فاز فى أكثر المعارك الرئاسية نزاعًا فى تاريخ البشرية.

كما يتذكر تونى إيڤانز، واعظ تكساس وأحد مستشاريه الروحيين: «إن دروس الكتاب المقدس كانت سببًا وراء قراره لخوض الانتخابات الرئاسية. إنه يشعر أن الله يتحدث إليه». ومنذ ذلك الحين، كان بوش يعرّف عمله بوصفه مهمة: «إننى مقتنع أننا يجب بشكل أساسى ودائم أن نغير ثقافتنا بأكملها، إننا بحاجة إلى تجديد روحى فى أمريكا».

أصبح الرجل الذى كان يذهب للكنيسة بشكل عرضى، رجلاً تقيًا، رجلاً يمارس نظامًا قاسيًا فى البيت الأبيض، ويقتبس الفقرات المناسبة من الكتاب المقدس ويدمجها فى أجندته اليومية. إن هذا السكير الذى كان يفتقد الشعور بالأمان قد أصبح رئيسًا، يمكن أن يكون مماثلاً لعامة الشعب الأمريكى بشكل دقيق بسبب قدراته العادية، قابليته لارتكاب الأخطاء، وإخلاصه.

كان الميلاد الثانى لچورچ بوش فى الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م. إلى ذلك اليوم، لم يكن له اتجاه محدد، لم تكن له متطلبات كرئيس محاط بمن هم أفضل وأكثر ذكاءً وليس لديهم مشكلة فى أخذ الدور الأهم والمركزى، وهو أمر لم يكن يفكر فى

تحديه. لقد كانت ـ فقط ـ الهجمات القاتلة على نيويورك وواشنطن هى التى منحت لرئاسته اتجاهًا وهدفًا. لقد حولت تلك الهجمات الموظف الرئاسى فى البيت الأبيض، والذى كان معتادًا على الظهور بشكل نادر، والمتمتع بثروته غير المتوقعة، إلى رئيس يريد أن يدافع عن مصالح أمته.

وقد لاحظ رؤساء الدول هذا التغيير فقط فى الفترة التالية على الحادى عشر من سبتمبر، حينما وصلوا لتقديم العزاء والاستفهام عما حدث. بالنسبة لهم، لم يعد چورچ بوش منذ ذلك الوقت، الرئيس قليل المعلومات، غير المهتم، خفيف الثقل سياسيًا. على الرغم من أنه ظل بمنأى عن المعلومات الوفيرة، والخبرة الحياتية، واستمر مشوشًا على نحو غريب فى علاقته باللغة، بالإضافة إلى مواجهته لصعوبة فى الاعتماد على ذاكرته، ولكن أصبح موقفه منذ ذلك الحين واضحًا لا يلين: من ليس معنا فهو ضدنا.

الرئيس بوش قليل الثقافة، أصبح قائدًا أعلى للقوات المسلحة وذا عزيمة ماضية

الحرب، بالنسبة لبوش المتحول، هى امتداد للسياسة باستخدام وسائل مختلفة. من ناحية، يبدو ملهمًا بتفاؤل نابع من قوة أمريكا العسكرية. من الناحية الأخرى، هناك رؤية تشاؤمية تبدو مرئية بين الوقت والآخر، رؤية تعترف بأنه على الرغم من تفوق أمريكا، فإنها يجب أن تعد نفسها بشكل غير مسبوق لهجمات إرهابية جديدة.

وحينما واجه بوش هذه الورطة، اختار الأسلوب الأكثر خطورة كلما كان ذلك ممكنًا. إن الرئيس قليل الثقافة قد أصبح قائدًا أعلى للقوات المسلحة بشكل حاسم وفعلى. أصبح رجلاً مخلصًا لمهمته، يعمل وفقًا لقواعد عقيدته الدينية.

حينما قام بزيارة مدرسة فى كراوفورد ـ مدينة صغيرة بـ «تكساس» بالقرب من مزرعته ـ سأله أحد الطلبة عما إذا كان يتخذ قراراته بسرعة دون الحاجة إلى الكثير من الوقت فى التفكير بشكل جدى فيها؟. «أعرف ما أؤمن به»، أجاب بوش بنبرة جادة

ولكنه كان غائب الذهن، «وأعرف إلى أين أريد أن أقود هذه البلاد. لكى أكون صريحًا معك، لا أجد أية مشكلة فى اتخاذ قراراتى».

إن إحدى الصفات المتعلقة بـ «رونالد ريجان» والتى يشكل وريثه السياسى الحقيقى نفسه عليها بشكل متزايد، والتى كان لها الانطباع الدائم على بوش هى «مسألة الرؤية» شجاعة أن تكون لك رؤية.

تمامًا كما تنبأ ريجان على نحو رائع بنهاية «إمبراطورية الشر»، يتنبأ بوش أيضًا بسقوط أسامة بن لادن والعراق. المشكلة الوحيدة هنا أن ما تنبأ به ريجان قد حدث بشكل أوتوماتيكى عام ١٩٩١م، بينما لن يختفى صدام ولا الإرهاب من تلقاء أنفسهما. يؤمن بوش بشكل صارم، بالرغم من ذلك، بوهم كاذب أن أمريكا تستطيع أن تفرض الحلول النهائية بفضل قوتها وتفوقها العسكرى المهيب.

إن عبارة «محور الشر» والتى نسخت بشكل ما بالمصادفة ـ وهى تقليد لمقولة ريجان بما تحملها من مفاهيم ـ تبدو لائقة تمامًا بهذه الرؤية العالمية المهووسة، هذه الرؤية التى تقسم العالم إلى أصدقاء وأعداء فقط. فى الحقيقة، منذ عام مضى، لم يكن هناك فى الواقع سبب حقيقى لوضع إيران وكوريا الشمالية فى مرتبة العراق. كان بوش ـ على الرغم من ذلك ـ فخورًا بإبداعه هذا، والذى سرعان ما ثبت أنه خطأ كارثى.

إن للعراق أهمية ثانوية، إذا ما قورنت بكوريا الشمالية. إن حقيقة أن كيم جونج يمتلك قنبلة أو اثنتين من القنابل النووية التى يمكن أن يصل مداها لكاليفورنيا، كما أكد جورج تينيت مدير الاستخبارات الأمريكية مؤخرًا فى مجلس الشيوخ، تجبر أمريكا على خوض مفاوضات ديبلوماسية عاجلاً أو آجلاً، بدلاً من السماح لها بمعاقبة تلك «الأمة الحمراء» على وجه السرعة، كما يتطلب منهج بوش الجديد بشكل طبيعى. وحيث ترى الولايات المتحدة إيران الآن، والتى تسعى أيضًا لحيازة أسلحة الدمار الشامل، يحكمها نظام يقع فى منطقة وسط، بين نظام الملالى وإدارة الإصلاح، فقد تبدد «محور الشر» خلال عام واحد.

ما تبقى، على الرغم من ذلك، هو صدام حسين والعراق. ما تبقى أيضًا هو اهتمام أمريكا الاقتصادى باحتياطيات البترول الضخمة وبتدمير اتحاد منظمة الأوپك. يلعب كل ذلك دورًا مهمًا، ولكن خطط بوش للحرب لا يمكن أن تلخّص فى تلك القضايا وحدها. إن بوش مثال بارز لرأسمالية الصديق الأمريكى، حيث يصنع الأصدقاء الكثير لبعضهم البعض، والتى ترى التحكم الفعّال فى سوق الأسهم أمرًا بغيضًا. على الرغم من ذلك، فإن هناك جذورًا أعمق لمهمته، حيث تستمد راديكاليتها من الورع الذى يرجع أيضًا لتقاليد عريقة فى أمريكا.

الرؤساء الدينيون يمكنهم أن يجعلوا العالم أسوأ مكان للحياة فيه بسبب فشلهم المذهل فى تطويره

فى هذه الأثناء، فقدت الشائعات القائلة إن «بوش» لا يمارس الحكم، ولكنه يستخدم أناسًا آخرين فى ذلك، مصداقيتها. فى الحقيقة، لقد استخدم بوش النظام الرئاسى حرفيًا: لقد احتفظ لنفسه بالصورة الكبيرة، مفوضًا دونالد رامسفيلد، كولن پاول، وكوندوليزا رايس للإدلاء بالتفاصيل.

لقد أصبح تشينى - نائب الرئيس - مستشارًا موثوقًا به، أكثر من كونه رئيس الوزراء الذى كان قبل الحادى عشر من سبتمبر، ولكنه - فى النهاية - يستمد سلطته من إخلاصه غير المحدود. يراه العامة بوصفه من يلعب دور الناطق باسم الرئيس، الرجل «ذى العزيمة والحس بالواجب» وهى الصفات التى يحاول إبرازها، إن قدراته الشخصية القوية تلك قد اكتشفت فى وقت متأخر.

لقد أكد بوش ميلاده الجديد الأول بحقيقة أنه على الرغم من نقصان الموهبة، فإنه كان يطلب منه فعل أشياء عظيمة الشأن. إن الميلاد الجديد الثانى قد طرح هذا الإيمان بالقدر إلى العالم الضخم. يمكن للرؤساء الضعفاء أن يشكلوا خطرًا؛ لأنهم يطلقون العنان بشكل حر لتابعيهم. على الرغم من ذلك، يمكن للرؤساء الدينيين أن يصنعوا من العالم أسوأ مكان للحياة فيه؛ بسبب فشلهم المذهل فى تطويره.

الأصوليون

الرئيس هو انعكاس مثالى للدولة التى يحكمها. تشارك أجزاء واسعة من الولايات المتحدة الرئيس ورعه المعلن والصريح. نسبة تزيد على ٩٥ بالمائة من مواطنى الولايات المتحدة (بناء على استطلاع رأى) يؤمنون بالله، بينما تعتبر نسبة متضائلة نفسها من الملحدين.

نسبة الكنائس ومعابد اليهود والمساجد لكل فرد فى الولايات المتحدة تفوق نسبتها فى أية دولة أخرى على وجه الأرض: هناك بيت عبادة لكل ٨٦٥ شخص[١]. وفى تلخيص لنتائج استطلاع رأى أجرى فى مايو، يذكر معهد جالوب أن «هناك تطلعًا عميقًا للدعم الروحى - جوع لله».

وبشكل مناقض لأوروبا، تريد أمريكا بوضوح أن تثبت أن الحداثة لا تؤدى إلى الإلحاد.

يزعم الأمريكيون أن ٥٠٪ منهم يذهبون إلى الكنيسة على الأقل مرة فى الأسبوع، بينما نجد فى أوروبا الغربية عشرين بالمائة من السكان - على أقصى تقدير - يحضرون بشكل منتظم الصلوات الدينية، بينما تصل هذه النسبة فى أوروبا الشرقية إلى ١٤ بالمائة.

يجعل مثل هذا الإلحاد الناس فى الولايات المتحدة، يلوحون برءوسهم، دعمًا لاعتقادهم أن أمريكا بالفعل هى «بلاد الله». إنه اعتقاد له جذوره التاريخية، التى بدأت مع الكالفينيين[٢]، الذين عبروا الجزر البريطانية على متن «مايفلاور» ونزلوا بكيب كود عام ١٦٢٠م. لقد اعتبر هؤلاء «الحجاج» أنفسهم لاجئين من عالم إلى دولة دينية ذات سلطة ونفوذ، ومنذ ذلك الوقت فإن الرغبة فى الحصول على البركة الإلهية - لكل حسب طريقته الخاصة - قد أصبحت حجر الزاوية فى الورع الأمريكى.

---

(١) فى مصر، هناك مسجد لكل ١٨٠٠ مسلم، وكنيسة لكل ١٧٠٠ مسيحى.

(٢) أتباع كالفين اللاهوتى البروتستانتى (١٥٠٩ - ١٥٦٤م) الفرنسى المولد، والذى أسس «مدينة الله» فى جينيف السويسرية - المترجمة.

إن مثل هذا الإيمان الفردى، بالإضافة إلى الفصل بين الكنيسة والدولة المنصوص عليه فى الدستور، قد منعا من تطوير فكرة دولة الديانة الواحدة، وأنعما على البلاد بحوالى مائتين من الكنائس المختلفة حتى الآن، حيث أكثر من ٩٠ بالمائة منها مسيحى.

ولكن الجماعات الدينية التابعة للمؤسسة البروتستانتية القديمة تفقد تأثيرها؛ لأن رعاياها يتناقصون. «كلما كانت الجماعة الدينية ترى بوصفها ليبرالية، فقدت أعضاءها» كما يلخص عالم الاجتماع كين سانتشاجرين حينما كان يقدم آخر إحصائياته حول الدين بين الأمريكيين. «**إن الكنائس التى تنمو بسرعة أكبر هى تلك ذات التوجهات المحافظة**».

وهكذا، يتم استنزاف خزائن الكنائس اللوثرية[١]، والمشيخية[٢]، والمنهجية (الميثودية)[٣]، بينما يجذب المبشرون بالكنيسة الحرة من خلال شاشات التليفزيون، والساحات الرياضية لإحيائيى الدين، وكنائس المورمون[٤] بأبراجها العالية، جماهير هائلة بشخصياتهم الكاريزمية.

إن من يقومون بالصلاة هناك هم من منحوا أصواتهم لبوش مثل كنيسة بيل ڤيو المعمدانية الواقعة فى بيج سپرنج آڤينيو فى ميدلاند، تكساس، حيث عاش الرئيس طفولته. تعد بيل ڤيو كنيسة محافظة، حيث رعاياها حصريًا من البيض. حتى الرجل الذى فى البيت الأبيض، يتحسر على حقيقة أن الكنائس البروتستانتية فى الولايات المتحدة لا تزال تمارس التمييز العنصرى. إنه يشجب حقيقة أن أمريكا هى صورة

(١) نسبة للمصلح الدينى لوثر ١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م ـ المترجمة.

(٢) أنشأها چون نوكس فى سكوتلاندا فى منتصف القرن السادس عشر، بناء على آيات أعمال الرسل: ٢٠ ـ ١٧، ٢٨، الرسالة إلى تيطس: ١: ٥ ـ ٧ «.. وتقوم شيوخًا فى كل مدينة مثلما أمرتك» فيحكم الكنيسة المشيخية «الشيوخ» كبار السن، متساوون وليس عليهم أسقف، وإنما جمعية عمومية تدير الكنيسة.

(٣) أتباع الحركة الدينية الإصلاحية التى قادها فى أكسفورد عام ١٧٢٧م تشارلز وچون ويزلى محاولين إصلاح كنيسة انجلترا ـ المترجمة.

(٤) طائفة دينية أمريكية، أنشأها چوزيف سميث عام ١٨٣٠م، على اعتبار أنه نبى. ومنذ وفاته حتى اليوم ظهر أنبياء متتالون للطائفة. ويتميز أتباع الطائفة بالاستقامة والجدية، فهم لا يشربون الخمور ولا يدخنون، ولا يقيمون علاقات جنسية خارج الزواج، وإن أباحوا تعدد الزوجات. وبالطبع لهم كنائسهم، وجامعة بريجهام يونج المشهورة ـ المترجمة.

حقيقية للعزل العنصرى الكامل، بشكل غير مسبوق، فى أيام الآحاد فى الساعة الحادية عشرة صباحًا، وهو التوقيت التقليدى للصلاة فى الكنيسة.

ذلك لا يهم القس آندرو ستيوارت. إنه يصلى لله القادر أن «يدمر أعداء الأمة للأبد»، وأن يغدق بنعمه على «رئيسنا، الصديق والتابع چورچ ووكر بوش ابن تكساس». إن الرب، كما قال القس فيما بعد، ينبغى أن «يقود رئيسنا ضد أعدائنا».

إن الكنائس ذات المعتقدات البسيطة هى التى تجذب عددًا أكبر من الجماهير، الكنائس التى تعظ الأمريكى المهذب والمتحلى بالأخلاق حيث كلام الكتاب المقدس لا يمكن تفنيده، ولا يمكن أن يخفف من قبل اللاهوتيين الليبراليين الذين يعتبرون المعتقدات القديمة من الأمور التى لا يمكن إدراكها. «**امنحنى تلك الديانة القديمة» هو أحد التراتيل المفضلة لدى تلك الكنائس**.

فى كنيسة توماس رود فى لينشبرج، ڤرچينيا، هناك ألفان من المؤمنين الذين يتقابلون كل أحد، ليس فقط للصلاة لربهم، ولكن أيضًا للاحتفال بأنفسهم بوصفهم أغلبية أخلاقية، بوصفهم نواة أسرية، بوصفهم أمريكا النظيفة. تجلب الأسر الشابة مواليدها إلى مقدمة صفوف الكنيسة لكى يباركهم القسيس، وهو أمر لا زال چيرى فالويل[1]، ٦٩ عامًا، الذى لم يفقد بعد ابتسامته الملائكية، سعيدًا بالقيام به. ينبغى أن يتأكد القائمون على التليفزيون البروتستانتى الشهير أن الكاميرات تركز فى لقطات قريبة على الأعضاء الشباب من رعايا الكنيسة، حيث يذيع صورهم للملايين من المشاهدين الذين يجتمعون كل أحد لمشاهدة برنامج فالويل الذى يحظى بأعلى معدلات المشاهدة.

لا تقتصر المواعظ لتجمعات الأصوليين والإحيائيين من اليمين المسيحى على منح النصيحة بخصوص الحياة الرائدة التى يوافق عليها الرب. فى أمريكا الشمالية، أصبحت البروتستانتية الإيڤانجليكية المحافظة منذ وقت بعيد هى القوة الحاسمة فى الفوز بالانتخابات. بعد الانتخابات الأخيرة اشتكى كارل روڤ، واضع الخطط

(١) أسس القس چيرى فالويل «الأغلبية الأخلاقية» عام ١٩٧٩م، لنشر الأخلاق المسيحية التقليدية، وفى السياسة الخارجية فأجندته أن تتفوق أمريكا فى السلاح النووى على العالم كله استعدادًا لهرمجدون، وإسرائيل دورها محورى، فقد وعد الرب إبراهيم وأبناءه بأرض إسرائيل، وهم الشعب المختار الذى يبارك الله من يباركه ويلعن من يلعنه، وسيعود المسيح ليحكم العالم من أورشليم. يشاهد برامجه حوالى ٢٠ مليون أمريكى ـ المترجمة.

الرئيسى لـ «بوش» من أن السبب الأساسى لعدم فوز الرئيس بأغلبية الأصوات هو أنه خسر أقل من ربع أصوات الناخبين من المسيحيين الأصوليين. إن هذا، طبقًا لما قاله وينج، ينبغى ألا يحدث ثانية.

لا شىء هناك يعظ به أتباع فالويل فى أمريكا أكثر من عصمة الكلمات الواردة فى الكتاب المقدس. يظهر هذا على السطح بوصفه جزءًا من الخطاب اللاهوتى على مدى قرون ماضية. فى الحقيقة، هذا الموضوع المرهق هو ببساطة تعبير عن المعركة الثقافية التى لا زالت محتدمة بشدة حتى الآن. يشعر الأصوليون الأمريكيون الورعون أنهم ضحايا تحول ثقافى جذرى أسفر عن إعادة تقييم للقيم منذ الستينيات. إن أعداءهم هم الليبراليون، وهى كلمة ليست فقط مصطلحًا ازدرائيًا بين أعضاء منظمة اليمين المسيحى، بل أصبحت منذ ذلك الحين مرادفة للخائن لوطنه: المدافعون عن حقوق المرأة، الشواذ، اليساريون، هؤلاء المناصرون للإجهاض، ومعارضو التسلح، أو باختصار، هؤلاء الرعاع الملاحدة المسئولون الآن عن حقيقة أن الرب غاضب على بلاده، وأنه اختار، من بين كل الناس، أسامة بن لادن، كوسيلة لإلحاق غضبه الشديد على هذه البلاد. يؤمن القس فالويل أن الحادى عشر من سبتمبر هو عقاب الرب لخطايا شعبه.

إن الوقاية الوحيدة من عقابه هى الإخلاص المطلق لكلمة الله، التى يمكن أن تميز بين الخير والشر، تُعَلم النساء أن يكن خاضعات، وتعلم الأطفال أن يحترموا الكبار.

بالطبع، مثل هذا الإيمان الحرفى هو انتقائى بدرجة كبيرة.. ويتعرض القسيسون المحافظون للسخرية بواسطة استطلاعات الرأى الماكرة عن طريق الإنترنت والتى تسأل، على سبيل المثال، عما إذا كان يمكن للمؤمن الحقيقى أن يستعبد كلاّ من المكسيكيين والكنديين؟. على أية حال، فقد ورد فى سفر اللاويين من الكتاب المقدس، الفصل الخامس والعشرين الآية ٤٤، أنه يسمح بالعبيد فقط حينما يتم الاستحواذ عليهم من الشعوب المجاورة. «وليكن عبيدكم وإماؤكم من الشعوب التى حولكم منها تقتنون عبيدًا وإماء» سفر اللاويين ٢٥: ٤٤.

سمحت الثقافة الأصولية التى تزرعها الكنائس المخلصة للكتاب المقدس لنفسها أن تكون محاربة وغير متسامحة، بشكل أكبر، خلال العشرين عامًا الماضية. إن كلمة

المؤمنين بالمزامير، أن الرب «سوف يسحق رءوس أعدائه» قد توقفت بكل تأكيد عن كونها مقولة عفا عليها الزمن. حتى كلمات «بن لادن» ينبغى أن تنتج حسّا عاطفيّا بالارتباط الروحانى مع المتعصبين البروتستانت. على أى حال، اتخذ كثير من الوعاظ الأصوليين موقف نبى الإرهاب هذا، والذى طبقًا لأقواله، كانت تلك الهجمات بداية **«حرب مقدسة ضد الإلحاد والملحدين»**.

كانت الكنائس الراديكالية تجهز لهذه الأرضية منذ وقت طويل. من يشجب الإجهاض بوصفه «هولوكوست ضد الأطفال التى لم تولد بعد» لا ينبغى أن يندهش حينما ينتهى الأمر بالمحاربين المقدسين الذين يتم تحريضهم، **فيشعلون النيران فى عيادات الإجهاض أو يقومون بإطلاق النار على الأطباء الذين يقومون بعمليات الإجهاض**. يتم تدعيم ذلك بنفس المنطق الذى يعظ به «بن لادن»، وهو منطق قديم قدم الزمان: من يُرِدْ تخليص نفسه من اللعنة، فعليه أن يحارب «الشر» دون أى حلول وسط، **فمن ليس معى فهو ضدى**.

إن الرئيس، الذى يشعر شخصيّا بالسعادة لاستخدام مثل تلك المفردات، قد حذر مرارًا من الخلط بين إرهاب الجماعات الإسلامية المسلحة وبين الإسلام ذاته. ولكن العديد من حلفائه الورعين لا يشاركونه وساوسه. جراهام فرانكلين، ٥٠ عامًا، هو ابن الواعظ الشهير الذى قاد ذات مرة الابن الضائع إلى طريق الفضيلة. فى الوقت الحاضر، **تولى جراهام العمل الدينى من والده، ذلك العمل الذى أكسبه ١٢٦ مليون من الدولارات عام ٢٠٠٠م. الأكثر من ذلك أنه، قام بأداء الصلاة الافتتاحية فى حفل تنصيب من كان تحت حمايته والذى أنقذه ذات مرة.**

لا يتفق فرانكلين جراهام بالتأكيد مع الرئيس. إن تحديد اللوم لديه يتخذ شكلاً أكثر راديكالية بكثير. **إنه يرى أن الإسلام كله «دين شرير على نحو استثنائى وبشكل يستحق التوبيخ». «ليس نحن من قمنا بمهاجمة الإسلام»، يقول وهو يعظ الكهان، «ولكن الإسلام هو من قام بمهاجمتنا».**

أعلن زميله چيرى ڤينس، الراعى الرئيسى للكنيسة البروتستانتية الأولى فى چاكسونڤيل بفلوريدا، والرئيس السابق لمنظمة ذات نفوذ تدعى الميثاق البروتستانتى

الجنوبى، فى اجتماع للقساوسة البروتستانت: **«لقد أسست المسيحية من قبل ربنا المسيح عيسى، ابن الله الذى حملته العذراء. بشكل مناقض، فقد تأسس الإسلام على يد محمد، الذى كان يحمل رغبة جنسية فى الأطفال، وكانت تستحوذ عليه الشياطين وكان له اثنتا عشرة زوجة - حيث كانت الأخير تبلغ من العمر تسع سنوات»**. أرعد الراعى الرئيسى للكنيسة بصوت أنبياء العهد القديم قائلاً: «وسأخبركم، الله ليس هو يهوا[1]. إن يهوا لم يحول بعد أى شخص إلى إرهابى»[2].

يلاقى مثل هذا الحديث الحماس بين الزبائن المجهزين لشن حرب صليبية، التابعين الذين يعظهم هؤلاء القساوسة الأمريكيون الغاضبون بكلمات «النبى يوئيل»، الذى دعا قومه لأن «اطرقوا سكك محاريثكم وحولوها إلى سيوف، ومناجلكم إلى رماح، وليقل الضعيف: إننى جبار قتّال».

سيكون من السهل نسبيّا لبوش أن يتغلب على حقيقة أن الكنيسة الكاثوليكية تكتب خطابات رعوية لأبناء إبرشيتهم ضد الحرب فى العراق، وأن طوائف السود تتظاهر ضد التعبئة العسكرية فى الخليج. لا ينبغى أن يكون بوش قلقًا بشكل خاص من أن القساوسة الكبار فى كنيسته المنهجية قد أدانوا تحرك إدارته باتجاه خيار الحرب، طالما أنه يعرف أن «اليمين المسيحى» يقف إلى جانبه، فيمكنه أن يصور الحرب فى العراق بوصفها جزءاً من معركته ضد الشر، وبالتالى، كفعل دينى ورع يسعد الرب.

منذ هجمات الحادى عشر من سبتمبر، تفجرت شعبية عودة سفر الرؤيا ليوحنا فى الكنائس الأصولية فى أمريكا. وفى ضوء الحملة على صدام، لا يخجل المفسرون ذوو التفكير السطحى للكتاب الأخير من العهد الجديد من المحاولات غير الملهمة لربط هذا الموضوع المحير من الكتاب المقدس بالحوادث الجارية اليوم. **بالنسبة لهم، تمثل الأمم المتحدة الصيغة المفضلة للمسيح الدجال، حيث تعلم الفقرة (١٧ : ١٣) من سفر الرؤيا أن ملوك الأرض «يتفقون فيها برأى واحد أن يعطوا الوحش قوتهم وسلطتهم» - رؤيا**

(١) استخدم الراعى كلمة «الله - Allah» التى يستخدمها المسلمون، فى مقابل «يهوا - Jehova» المستخدمة فى العهد القديم من الكتاب المقدس للدلالة على الله عند اليهود والمسيحيين - المترجمة.

(٢) كذلك أعلن چيرى فالويل أن محمدًا إرهابى، بينما قال پات روبرتسون - القس صاحب إمبراطورية الدعوة، والذى رشح نفسه للرئاسة آخر ثمانينيات القرن العشرين - قال: محمد لص وقاطع طريق - المترجمة.

يوحنا (١٧ : ١٣). كما أن البابا، وهو معارض أيضًا للحرب، يعاقب بوصفه «عاهرة بابليون» لأن طبقًا لـ «بابل الزانية الكبرى» من رؤيا يوحنا، يقع عرشه على «سبعة جبال». «ولا بد هنا من فطنة العقل: الرءوس السبعة ترمز إلى التلال السبعة التى تجلس عليها (زانية بابل)، وترمز أيضًا إلى سبعة ملوك». إن حقيقة أن الاتحاد الأوروبى قد نشأ كنتيجة لاتفاقيات روما يجعل من أوروبا كلها أداة للشيطان.

إن مجرد الضحك ببساطة على مثل هذه النفايات يغفل عن أهمية نفوذ الجناح العسكرى لمنظمة اليمين المسيحى. **إن العديد مقتنعون بالتأكيد أن الأعمال الهجومية على نيويورك وواشنطن قد بدأت العملية التى سوف تقود إلى نهاية العالم، عودة السيد المسيح، وبزوغ حكم الله الموعود لألف سنة. حينما يسمع هؤلاء المتدينون رئيسهم يتحدث عن «محور الشر»، فإنهم يقتنعون أنه يتحدث بلغتهم الخاصة، أنه، مثلهم تمامًا، محارب مقدس.**

هذا التوجيه للإيمان بالآخرة عند اليمين المسيحى يصبح واضحًا بشكل خاص فى علاقته بإسرائيل.

فى وقت ليس ببعيد، فى عام ١٩٨١م تسبب المبجل بيلى سميث، الرئيس السابق لمؤتمر الجنوب المعمدانى فى فضيحة حينما أعلن: «إن الله لا يستمع لصلوات يهودى».

الآن، يحتفل ١٢٠٠ مسيحى بروتستانتى بعيد الفصح اليهودى فى مركز ڤيرنر ڤون براون فى هانستڤيل، ألاباما. وقد أرسل جارى بوير، وهو أحد القادة السياسيين على مدى عقود لليمين المسيحى، ١٠٠ ألف رسالة إلكترونية يوميًا للتابعين المخلصين، وفيها يناصر الاتجاه المتشدد الذى يتخذه رئيس الوزراء آرييل شارون. وطبقًا لبوير، فإن التزام أمريكا بمساندة إسرائيل هو من أحد الوصايا العشر الواردة بالكتاب المقدس: **«يؤمن المسيحيون الإيڤانجليكيون أن الله قد وعد الشعب اليهودى بتلك الأرض».**

إن هذا الاتحاد غير المعتاد بين اليمين المسيحى والمؤيدين الأمريكيين لشارون ليس من باب إيثار الغير بشكل كامل. فبالنسبة لهم، وجود دولة إسرائيل هو شرط لظهور المسيح الدجال، واشتعال المعركة الأخيرة فى هرمجدون بين الخير والشر، وعودة المسيح (**أحد المعتقدات الدينية التى يفضل اليمين المسيحى ألا يذكرها، هو أن المسيح سوف يقوم عند ظهوره بإلقاء كل اليهود الذى يرفضون الاعتراف به فى جهنم**). وطبقًا

لمسح شامل أجراه القس الشهير هال ليندساى بين المسيحيين الذين يشيرون لأنفسهم بأنهم «ولدوا من جديد»، **يتفق ٥ , ٧٢ بالمائة مع مقولة: «أؤمن أننا حاليًا نواجهَ بداية حرب سوف تؤدى إلى ظهور المسيح الدجال وهرمجدون»**.

إن هذا الدعم من قبل حشود المسيحيين الراديكاليين، يرحب به بشكل خاص المحافظون الجدد الذين يشكلون جزءًا مهمًا من القيادة المدنية فى البنتاجون. لقد بدأ كلٌ من پول ولفويتز نائب وزير الدفاع وريتشارد پيرل مستشار البنتاجون عملهما السياسى مع الديموقراطيين، وقد تشكلت آراؤهم بتأثير من السيناتور الأسطورى هنرى «سكوپ» چاكسون، أحد الأصدقاء المفوهين لإسرائيل فى الدوائر السياسية الأمريكية. يعملون بنجاح فى هذه الأيام، بالإضافة إلى واجباتهما الرسمية، باتجاه إبعاد الناخبين اليهود عن بيتهم السياسى التقليدى، وهو الحزب الديموقراطى، وجلبهم إلى الحزب الجمهورى. بينما كان بوش الكبير سيئ السمعة بين اليهود الأمريكيين كرئيس يحمل رؤية متشككة عن إسرائيل، **فإن ابنه يعد الآن حليفًا قويًا للمتشددين فى سبيل إسرائيل**. إن پيرل وولفويتز، المعروفين باسم التدليل كوشير ونوسترا[1] فى البنتاجون، لا يقومان فقط بالحث على الحرب ضد العراق؛ لأنها يمكن، افتراضيًا، **أن تصبح علامة على الإصلاح الديموقراطى فى العالم العربى، ولكنهما أيضًا يريان الإيقاع ببغداد كطريق لحماية الأرض المقدسة فى عالم من الأعداء، وبالتالى كشرط للسلام الحقيقى فى الشرق الأوسط**.

«يجب أن يعاقب الشر وأن يكافأ الخير.
لقد جاء زمن استخدام القوة»

يساندهم من كل قلبه اليمين المسيحى، مثل مؤتمر معمدانيى الجنوب الذى يمثل بكنائسه التى تبلغ ٤١,٥٠٠ وأعضائه البالغين ١٥,٩ مليون عضو، قلب الأصولية الورعة. على سبيل المثال، فى مقالة طويلة لريتشارد لاند، رئيس لجنة الأخلاق

(١) كلمتان عبريتان تعنيان: شرعى، غامض.

والحرية الدينية بين جماعة معمدانيي الجنوب، شرح السبب وراء إيمان جماعته الدينية بأن الحرب ضد صدام هى حرب عادلة. ووصل إلى استنتاج أن قادة الكنائس الأخرى مثل البابا چون پول الثانى، يجدّفون على الله بكل تأكيد. كتب لاند: «**إن شن حرب عادلة هو فعل ينم عن الرحمة المسيحية. يجب أن يعاقب الشر، وأن نمنح الخير مكافأة. لقد جاء وقت استخدام القوة**».

على الرغم من ذلك، وبرغم الصلة الروحية مع الرئيس، لا يمكن رؤية الأمر وكأن **البيت الأبيض فقط مكان للصلاة، ولكن تتبع إدارة البيت الأبيض بوضوح سياسات القوة الإمبريالية**.

بينما تحتاج راديكالية بوش الإيمان الدينى كتبرير لها، نجح كلّ من المتشددين دونالد رامسفيلد وريتشارد تشينى دون الإشارة إلى الكائن الأعلى. بالنسبة لهما، فإن ادعاء الولايات المتحدة الخاص بأنها القوة العظمى الوحيدة فى العالم هو تبرير كاف. رامسفيلد وتشينى هما أصوليان فيما يتعلق بالسلطة، فهما يستغلان الحماسة الدينية للرئيس، ورغبته فى أن يحول الآخرين للمسيحية، لتحقيق أهدافهما الدنيوية بأقصى درجة ممكنة.

لا يترك كلّ من رامسفيلد وتشينى أى شك حول أولوية العمل السياسى، وقد خدم الاثنان العديد من الرؤساء على مدى ٣٥ عامًا. كلاهما فكر فى خوض الانتخابات الرئاسية للفوز بالبيت الأبيض، ولكنهما اختارا ألا يقوما بذلك. لقد أصبح الاثنان يتمتعان بثراء هائل، أحدهما بوصفه رئيس مؤسسة للأدوية، والآخر بوصفه المدير التنفيذى لأكبر شركة لخدمات البترول فى العالم، والتى تدعى هاليبرتون. لقد عاد الاثنان لممارسة السياسة فى سنواتهما الأخيرة، وكلاهما يعد سياسيًا قويًا مخلصًا يمكن أن يستغل كل الوسائل ويضعها تحت تصرف أمريكا، إذا ما اقتضى الأمر.

كان الصقران يفضلان استخدام القوة لشن ضربة وقائية مبكرة ضد صدام. على الرغم من ذلك، فقد عارض كولن پاول، مدعمًا بسمعته القوية، هذا الأسلوب. إنه أيضًا شخصية محنكة سياسيًا من واشنطن، وقد اختار أيضًا ألا يخوض الانتخابات، وعاد إلى عالم السياسة كمليونير كبير.

ولقد شن باول حملة لعرض قضية العراق على الأمم المتحدة، وسعى لمنهج منظم لتجريم صدام فى مجلس الأمن. ولكن المقاومة المستمرة فى الأمم المتحدة كان لها عواقب غير سارة لباول، وقد انتهى الآن دوره الخاص.

لقد اتهمه المتشددون، والرئيس نفسه، بأنه أساء الحكم على غالبية العلاقات فى الأمم المتحدة. **ولكى يتجنب العزلة، التحق باول بالصقور!** ومنذ ذلك الحين، أصبحت القضية الوحيدة فى الولايات المتحدة هى متى ستبدأ الحرب؟ هل ستصدر الأمم المتحدة قراراً رسميّا بدعم الحرب أم لا؟ أما إذا كانت الحرب التى سيشنها فى النهاية «تحالفًا من الراغبين فى الحرب» فقد أصبح اهتمامًا ثانويّا.

سيكون رئيس البنتاجون رامسفيلد وقتها السيد فى ميدان المعركة. يأمل الرئيس بوش بتغيير فى النظام قبل أن يستطيع صدام استخدام أسلحة الدمار الشامل. أما تشينى، فهو يفكر مليّا فى إدخال كوريا الشمالية فى الحسبان.

وفى هذه الأثناء، تنفد متاجر نيويورك وواشنطن من ألواح البلاستيك اللازمة لوضعها على النوافذ كمانع لتسرب الغاز أو الهواء، بالإضافة إلى أقراص يوديد البوتاسيوم. يقوم الناس بشراء هذه المواد بكميات ضخمة؛ لأن السلطات دعت المواطنين لحماية أنفسهم ضد الهجمات بالأسلحة الكيماوية والبيولوجية، أو حتى ضد ما أسمته «القنابل الذرية القذرة».

وهكذا يبدو أن السماء والأرض مجهزتان للسير فى اتجاه بغداد. سوف يرتفع اليوم عدد القوات العسكرية الأمريكية المتمركزة حول العراق إلى ١٥٠ ألف جندى، وهو الحد الأدنى المطلوب لخوض الغزو المحدد فى الأول من مارس أو انطلاقًا من ذلك التاريخ. تحدث بوش الخميس الماضى إلى أسر جنود البحرية الأمريكية فى چاكسونڤيل، فلوريدا.

لقد أكد لجنوده أن البلاد بأكملها تصلى من أجلهم. لقد حثهم على القيام بواجبهم، ليس كما يحث القائد الأعلى قواته، ولكن كقسيس فى ميدان المعركة: «لا تحاولوا فقط أن تكونوا جنودًا صالحين أو بحارة صالحين. تذكروا أن تحبوا زملاءكم كما تودون أنتم أنفسكم أن يمنحوكم الحب».

نادراً ما أرسلت القوات العسكرية إلى ميدان المعركة بمثل هذه الطريقة الورعة.